لمحة اقتصاديّة
في مجاري المياه اللبنانيّة

للاب هنري لامنس اليسوعي مدرس الجغرافية الشرقيّة في المكتب الشرقي

(نهر الكلب) انَّ مياه هذا النهر تؤدي خدماً عديدة كسقي المزدرعات وتدوير الطواحين . الّا انَّ فائدتها العظمى ريّ بيروت وتزويد اهلها بالمياه الطيّبة بفضل شركة المياه المعروفة التي ذكرناها غير مرَّة في مطاوي ابحاثنا السابقة . ومياه نهر الكلب تُخزَن ليس بعيداً من منبعها فتجري في قناة مكشوفة فتتبع تعريج الوادي وتوريبهُ حتّى تقرب الى نحو عشر دقائق من مصبّ النهر في البحر فتنفذ في القلّة التي يعلوها دير مار يوسف البرج وتجري المياه في سرب يؤدي بها الى الضبيَّة . وقد جعلت من مسافة الى اخرى كُوًى نُقرت في عطف الجبل لرحض القناة اذا دعت اليه الحاجة ومن الضبيَّة ترى القناة مكشوفة حتى تبلغ اخيراً معمل الشركة حيث ادواتها الدافعة ومصافيها قريباً من محطَّة الضبيَّة وفي المعمل رؤوس مائي يدفع الماء في القساطل التي تجلبهُ بيروت . واذا فاَت المياه في فصل الصيف اتَّخذوا آلة بخاريَّة جهَّزوها منذ بضع سنوات لوقت الحاجة . ولهذه المياه احواض عديدة في تلّ مار متري تتجمَّع قبل ان تُقسم على احياء المدينة . وامتياز هذه الشركة كانت الدولة العليَّة منحتهُ للمهندس الفرنسوي المسيو تقتين الذي نال ايضاً من تعطُّفاتها امتياز ابنية المرفأ سنة ١٨٨٢ ثمَّ تشكَّلت شركة المياه كما هي اليوم سنة ١٨٧٦ والمخزن بعد مدَّة الاعمال التي بُوشر بها قبل ذلك العهد بسنة وعُرفت منذ ذاك بشركة مياه بيروت (Beyrout Waterworks Company limited) ولمَّا انتهى حديثاً زمن الامتياز الممنوح لهذه الشركة جدَّدتهُ على شروط اشترطتها عليها الحكومة السنيَّة منها ان تخفض اجورها وان تمنح مجّاناً كل يوم ٢٥٠ متراً مكعّباً من الماء وان تنقص قسط البلديَّة الى ١٥٠٠٠ فرنك واذا استهلكت ديونها مع دفع الفائدة يكون ثلث الارباح لبلديَّة بيروت

هذا وان الاطّلاع على احوال هذه الشركة لامرٌ صعب جداً فلا يمكننا ان نعلم عن مدخولاتها ومصاريفها الّا شيئاً قليلاً استفدناه من تقرير بعض الانكليز . من ذلك

انَّ الشركة كانت ربحت في سنة ١٨٨٩ ١٤٣٢٨٧ فرنكاً وان عدد المشتركين كان ١٥٦٣ وليس لدينا تفاصيل لما قبل هذه السنة . ودونك جدولاً اخذناه ايضاً من مصادر انكليزيَّة يبيّن اجمالياً حالة اعمال الشركة من السنة ١٨٩٠ الى ١٨٩٦

السنة	المدخول	المصروف	الربح الصافي	الاشتراكات	اشتراكات السقي
١٨٩٠	٣٠٢,٦٩٥ ف	٠٧٨,٦٧٨ ف	٢٢٤,٠١٧ ف	١٩٨٣	١٢٧
١٨٩١	٣١٢,٤١١ ⩤	٠٨١,٧٥١ ⩤	٢٣٠,٦٦٠ ⩤	٢١٢٠	١٢٥
١٨٩٢	٣١٤,٨٦١ ⩤	٠٨٧,٨٠٤ ⩤	٢٢٧,٠٥٧ ⩤	٢١٤٦	١٤٢
١٨٩٣	٣٢٢,١٦١ ⩤	٠٩٦,٥٢٤ ⩤	٢٢٥,٦٣٦ ⩤	٢٢٢٢	١٤٢
١٨٩٤	٣٤٢,٠٦٢ ⩤	٠٩٦,٢٩٣ ⩤	٢٤٢,٨٦٩ ⩤	٢٤٨٠	١٥٠
١٨٩٥	٣٥٢,٢٤٧ ⩤	١٣١,٥٦٤ ⩤	٢٢٠,٨٨٢ ⩤	٢٨١١	١٢٧
١٨٩٦	٣٥٠,٢٨٠ ⩤	١٣٠,٩٦٠ ⩤	٢٢٩,٣٢٠ ⩤	٢٨١٦	١٥١

وللشركة رأس مال قدره ١٤٤٠٠٠ ليرة انكليزيَّة ويظهر من ترقّي اعمالها وزيادة عدد مشتركيها واسراعها في تجديد الامتياز الممنوح لها انَّ امورها على قدم من النجاح هذا فضلاً عن ارتفاع اسعار الاقساط . على انَّ الشركة قد تحمَّلت نفقات كثيرة في جلب المياه خصوصاً لابرة العملة التي حُسبت في اليوم كما تُحسب للعامل في لندن (٦ شلينات) واتعب السرب في تلّ دير مار يوسف البرج الذي بلغ الاربعين في المئة من مجموع النفقات . وزد على ذلك ما صرفتهُ في عدَّة دعاوي

والشركة تستطيع ان تسلّم في بيروت متراً مكعّباً من الماء في الثانية والاشتراكات تتزايد يوماً فيوماً الّا انَّ كثيراً منها لا تتجاوز ربع المتر المكعّب فليس من وراتها ربح يُذكر . وفي بيروت الآن ثلاثة احواض قريباً من تلّ مار متري اقدمها الحوض الاسفل محتواه ٢٨٠٠ متر مكعّب وقد بُني حوض آخر قريباً منهُ مضمونهُ ٣٠٠٠ متر مكعّب والحوض الثالث هو الاعلى مشمولهُ ٢١٠٠ متر والشركة تفكّر في ابتناء حوض رابع فيكون للشركة عند قطع المياه ما يكفي لتموين البلد مدَّة ٤٨ ساعة . واعلم انَّ الآلة البخاريَّة التي جُهّزت في الضيعة وكلّفت نفقاتها يبلغ معدّل شغلها في السنة نحو ٢٠ يوماً فقط عند نقص المياه

وفي الضيعة ثلاثة ارباع الماء الذي يحرّك الرفّاس تنصبُّ في البحر . امّا الماء المستعمل لري السهول المجاورة فربحهُ لا يُعبأ به لانَّ الزراعة هناك ليست بخصبة وذلك

انَّ الزيتون البحريَّة لا توافق زراعة التوت والليمون فلا يبقى الَّا قصب السكَّر والبقول واعلم انَّ المياه في الضيعة تسقط من علوّ ١٨ مترًا فقوَّتها كافية لتحريك الآلات اللازمة لتنوير بيروت بالكهربا.

ومجمل القول انَّ مياه نهر الكلب تنفع خصوصًا اهل بيروت وهي ايضًا تُدير طواحين عديدة وتسقي بقيَّا البساتين الواقعة شمالي النهر . ومع ذلك ينصبُّ منها في البحر نحو نصفها فتذهب فائدتهُ

(نهر ابراهيم) هو نهر غزير المياه ومع ذلك لا تراه يفيد شيئًا الَّا انهُ يدير بعض الطواحين ويسقي بعض الحقول . ومن ثمَّ اتجهت الافكار الى عقد شركة لاستخدام هذه القوَّة الضائعة . وكان قصدها ان تسقي البُقع الواقعة شمالي النهر وجنوبهُ وان تجلب الماء الشروب لجبيل وعمشيت وما يليهما . وكان في حسبانها اتخاذ القناة القديمة التي كان الرومان يجلبون بها مياه النهر الى جُبيل . الَّا انَّ هذه القناة التي تُعدّ من اعمال الهندسة الخطيرة كقناة بيروت قد استولت عليها يدُ الخراب بحيث يصعب الانتفاع منها

ويؤخذ من بحث سابق للمشروع المارّ ذكرهُ انَّ مياه النهر في معظم فصل القيظ لا تقلّ عن ٢٤٠٠٠٠ متر مكعَّب في اليوم اعني مترين واربعة سنتيمترات في الثانية . ومما تقصده الشركة فتح قناة كافية لجلب ٢١٥٠٠٠ متر مكعَّب كل يوم لتسقي بها ما يأتي :

	المجموع
١ً ٦٠٠ هكتار من التوت يقتضي لكل هكتار في اليوم ٤٨ مترًا مكعَّبًا من الماء	٢٨,٨٠٠
٢ً ١٥٠ هكتارًا اخرى لسقي حقول من التوت ومزدرعات يلزمها في اليوم لكل هكتار ٩٠ مترًا مكعَّبًا	١٣,٥٠٠
٣ً ١١٠٥٠ لسقي مزدرعات البقول والخضرة تحتاج في كل يوم لكل هكتار ١٣٢ مترًا مكعَّبًا	١٤,٥٢٠
٤ً ٤٠٥٠ من مزدرعات قصب السكَّر يلزمها لكل هكتار ١٨٠ م مكعَّبًا	٧,٢٠٠
٥ً تنوير جبيل وعمشيت بالماء وقطيات أخر	٥,٩٨٠
٦ً استخدام كتلة من الماء لتوليد القوَّة المحرِّكة عند مصبّ النهر	١٤٥,٠٠٠
	٢١٥,٠٠٠

وصاحب البحث الذي اخذنا عنهُ هذا الحساب يرى انَّ مدخول السقي في السنة يبلغ نحو ٢٠٠٠٠٠ فرنك . ومأمولهُ ان يكون مهبط المياه عند مصبّ النهر من علوّ ستين مترًا فتنشأ قوَّة كافية لدفع ١٤٥٠٠٠ متر مكعَّب من الماء كل يوم وهي قوَّة

٦٤ - [illegible] - [illegible]

توازي الف حصان بخاري . وزد على ذلك شلالاً آخر غير متواصل يُستعمل في اوان السقي تكون قوَّة انحداره ٢٥٠ حصاناً بخارياً . فاذا بيع محصول كل حصان بخاري متدارم يبلغ ١٥٠ فرنكاً ومحصول الحصان البخاري غير المتواصل بثمن ٧٥ فرنكاً اناف الربح على ١٥٠٠٠٠ ف . ومن ثمَّ يزيد مدخول هذا المشروع اجمالياً على ٤٥٠٠٠٠ ف وذلك فضلاً عن مدخول الماء المجلوب لجبل وعمشيت وهو مبلغ زهيد لا يُعبأ به

اما نفقات هذا العمل فيثنها المثمنون نحواً من ١٢٠٠٠٠٠ فرنك ولعلَّها تبلغ ٢٠٠٠٠٠٠ اذا حُسبت المصاريف الطارئة . اما النفقات السنويَّة لاستثمار هذا العمل فتكون بالتقريب ٥٠٠٠٠ ف في السنة . فاذا افترضنا انَّ الربح لا يتجاوز نصف المؤمل اعني ٢٠٠٠٠٠ فقط بدلاً من ٤٥٠٠٠٠ فيكون الربح الخالص عشرة في المئة (١

لكنَّ هذا التقرير نظريّ . افتراه ينطبق مع الواقع ؟ لا نظنّ وذلك لاسباب اوَّلها ما سبق الاشارة اليه انَّ جلب المياه الى جبل وعمشيت ليس من ورائه ربحٌ يُذكر لقلَّة سكَّان تلك النواحي . فيبقى سقي الزروعات المصاقبة لمصبّ النهر . فانَّ صاحب التقرير المذكور آنفاً يحسب نحو الف هكتار من التربة الجيِّدة المقصود سقيها فلعمري هذه مساحة كبيرة لا نعلم اين هي . فاذا ابتعدت قليلاً عن ضفَّتي النهر وجدت الاراضي لا تصلح للزراعة وهي محجرة متقطِّعة بالاودية وليس ثمَّة بقعة منبسطة ولا سهل ذو تربة زراعيَّة وانَّما تُلفى قطع قطعاً منها متفرِّقة قليلة السعة . فاذا أُنشئت قناة في تلك الجهات ذات الحزون والبطون بلغت النفقات مبالغ جسيمة . وعلاوة على ذلك انَّ كثيرًا من ارباب الفلاحة يأبون الاشتراك ويستثقلون مصروفهُ . وعندنا انَّ الاولى ان تُتَّخذ القنيّ البسيطة القليلة النفقات فتُجلب المياه الى البُقع اليابسة الواقعة جنوبيّ النهر

ولا ننكر انَّ القوَّة المحرِّكة البالغة ١٢٥٠ حصاناً بخارياً ذات بال جديرة بالاعتبار الَّا انها لسوء الطالع لا تاتي بفائدة كبيرة لبعد مقامها . ولو كانت هذه القوَّة على جوار مدينة كبيرة مثل بيروت لأمكن استخدامها للتنوير الكهربائي . وكذلك تصلح هذه القوَّة لتسيير عجلات الترامواي اللبناني بالكهرباء الَّا انَّ شركة الترامواي لم تفكر في هذا

١) راجع التقرير في استخدام نهر ابراهيم تاريخهُ ٢١ ك ١ سنة ١٨٩٢ وضعهُ المهندس كوانيه (Ed. Coignet)

الامر حتى الآن ولعلّها لن تفعل قبل سنين طويلة . وخلاصة القول يصعب الآن الاستفادة من نهر ابراهيم لما يحول دون ذلك من العقبات

وقد أتعسنا قليلًا في البحث عن نهري الكلب وابراهيم لنبيّن بمثل الاول ما فازت به الهمم وبمثل الثاني ما يمكن فعلهُ قلّما يكون للانتهار التي هي احسن موقعًا من نهر ابراهيم فان للمياه شروطًا جغرافية لا بدّ ان تستوفيها لفائدة الانتفاع بها ولذلك ترى عيونًا غزيرة في لبنان تجري دون فائدة لوقوعها في وسط الجبال وبعيدًا عن المراكز المأهولة . وهذا ما حدا بنا ان نضرب عن ذكرها في هذه المجالة عن مجاري لبنان

(نهر الجوز) هذا النهر ربّما نضبت مياههُ صيفًا عند مصبّهِ . وعليهِ فلا نظن انهُ يمكن استعمالهُ في غير سقي البساتين وتحريك الطواحين كما يُفعل بهِ اليوم

وليس الامر كذلك في نهر قاديشا (ابو علي) فانهُ كافٍ ليس لسقي سهول طرابلس فقط بل لتشغيل عدّة معامل صناعيّة لو اراد ذلك ارباب الصناعة . ومما يسهّل هذا المشروع قرب النهر من مدينة كبيرة غنيّة بالحاصيل الاوّليّة ولديها الوسائط الكافلة بتصريف بضائعها ومحصولاتها

ثم يأتي بعد نهر قاديشا (نهر البارد) و (نهر عكّار) ولا يُبنى عليهما امل كبير وذلك لقلّة مياه الاول ولوقوع الثاني في مسيل عميق ضيّق . اما (النهر الكبير) فانهُ خطير الشأن كما رأينا . فان تحقّقت امانينا وعاد لواديهِ مكانهُ من الاقتصاد ازدهرت تلك السهول الخصبة واغنى السكّان بارباحهِ الطائلة

واعلم انّ السواحل الفينيقيّة لم تكن فقط في القرون الغابرة مراكز لتجارة العالم بل ايضًا مواقع مهمّة لمرافق الزراعة واعمال الصناعة . فنال القدماء بهذه الموارد الثلثة ارباحًا طائلة . وعندنا انّ هذه الثروة لا تعود الى ايدي ابنائهم اذا حاولوا احياء الزراعة والفنون الّا بشرط استخدام القوى الطبيعيّة التي قسمها الخالق على بلادهم لا سيّما الكنوز المائية المخزونة في جبالهم . ويا حبّذا لو استطعنا بهذه السطور ان نستلفت الخواطر الى هذه الامور النافعة او حرّكنا الهمم لمباشرة بعض هذه الاعمال الشريفة